فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

من سلسلة "قصص الأنبياء"

قصة نبي الله يوسف (٢) من الجب إلى السجن

(باللهجة المصرية)

لفضيلة الشيخ: أحمد سيف

رابط المادة: http://way2allah.com/khotab-item-115657.htm

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله عدد ما خلق، الحمد لله ملء ماخلق، الحمد لله عدد ما في السموات وما في الأرض، الحمد لله عدد ما أحصى كتابه، الحمد لله على ما أحصى كتابه، الحمد لله عدد كل شيء، الحمد لله، الحمد لله ملء كل شيء، اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد وبارك على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد.

قال النبي –صلّى الله عليه وسلم–:" مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ"رواه البخاري ومسلم من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين فأمرنا النبي –صلّى الله عليه وسلم–أن نتعلم عن الله، وأفضل منابع الدين أومصادر الدين كلام الله وكلام نبيه –صلّى الله عليه وسلم– كما قال ابن الجوزي أنه النبع الصافي فمن نهل من هذا النبع علم كدر ما بعده، يعني إللي بيقرأ في القرآن والسنة لما يجي بعد كده يقرأ في أي كلام آخر يعلم أن هذا الكلام كدر.

الصبر على البلاء

فتعالوا اليوم ننهل من هذا النبع الصافي مع قصة نبي الله يوسف –عليه السلام– في مرحلةٍ جديدة من البلاء، عاش يوسف – عليه السلام– مع أبيه كما ذكرنا من قبل يعقوب، ثم كاد ليوسف –عليه السلام– إخوته وقرروا أن يلقوه في الجب، وقفنا في المرة السابقة عند هذا الحد أن يوسف–عليه السلام– الآن تركه إخوته في البئر، ثم انصرفوا وذهبوا إلى أبيهم وجاءوا بدمٍ كذب وقالوا له إن أخانا يوسف قد هلك، وأن الذئب قد أكله، يعقوب –عليه السلام– بحكمته وفراسته علم أنهم كاذبون وعلم أنهم أرادوا بيوسف شرًا غير أنه قال "فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ" يوسف:١٨ فصبر يعقوب – عليه السلام– على فراق ابنه وعلى هذا البلاء الشديد واستعان بالله سبحانه وتعالى، وهكذا ينبغي للإنسان إذا ابتلي ببلاء سواء كان هذا البلاء في الدنيا في أمرٍ من أمور الدنيا؛ خاص بماله أوبأولاده أوبصحته أن يستعين بالله وأن يصبر.

تكلمنا في المرة السابقة على أن الصبر الجميل هوالصبر الذي لا سخط فيه، يعني واحد مش بيصبر وكل شوية يقولك آدي إحنا صابرين أهوإحنا حصل فينا كذا وكذا وادي إحنا صابرين، لا لا إنما الصبر الجميل الصبر الذي لا سخط فيه لا تسخط فيه لا شكوى فيه. فصبر يعقوب –عليه السلام– هذا الصبر الجميل على فراق ابنه يوسف.

يوسف عليه السلام في البئر

ثم تنتقل بنا الآيات إلى مشهد آخر يوسف –عليه السلام– في البئر، قطعة من الأرض محفورة فيها ماء تركوا يوسف – عليه السلام– فيها ثم انصرفوا قال الله –سبحانه وتعالى– :"وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ"يوسف:١٩ يعني إيه سيارة؟ تقولوا في صورة ذهنية لكل لفظ سيارة يعني إيه؟ قافلة. إحنا عندنا سيارة يعني إيه؟ أربع عجلات معروفة عربية. جاءت سيارة، جاءت قافلة وتلك عادة قوافل التجار كانت تبعث في مقدمتها وارد، الوارد ده يعني واحد بيستكشف الطريق يشوف الميه فين يجهز الأرض علشان الناس تنزل هنا يقولهم إحنا حننزل هنا والبئر هنا علشان نشرب ميه. "فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ "يوسف:١٩ الوارد ده إلي هوفي طليعة القافلة "فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ"يوسف:١٩ رمى الدلوإللي هوالجردل، فلما أدلى دلوه في البئر متوقع أنه يسحب البئر فيرفع الدلوبالماء؛ فإذا بالدلويخرج فيه غلام ده دليل على إن سيدنا يوسف كان إيه؟ كان صغير السن كان غلام، "قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ" يوسف:١٩ مين بشرى؟ قالوا إن بشرى ده اسم واحد صاحبه يا بشرى هذا غلام، وقيل يا بشرى يعني يا بشراي مستبشرًا فرحًا بأنه وجد طفلًا يخرج من إيه؟ من البئر "قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ"يوسف:١٩.

أحيانًا يبتلي الله أهل الطاعة

لاحظ بقى معايا "وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ"يوسف:١٩"وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً" مش أَسَرُوه الأَسْرُ إن واحد يبقى إيه؟ يبقى أسير، الأسَّر يعني جعله في السر؛ يعني هوما رضاش يقول للقافلة إن هولقاه وإنما هوقالهم ده أنا إيه ده أنا اشتريته عشان يعرف إيه؟ يبيعه. فأسَّر عنهم يعني أخفى عنهم أنه؛ هوده الإنسان. الله –سبحانه وتعالى– قيد لهذا الرجل الوارد إلي هومطلع أومطلع القافلة أن يكون في حوزته رجلٌ صالح أوغلامٌ صالح سيكون بعد ذلك نبي؛ غير أنه طمع، قال لك طب ما نبيعه نكسب فيه فلوس فأسَّره ببضاعة "وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ"يوسف:١٩

يقولوا لماذا تذييل الآيات ليه انتهت الآيات بالله عليم بما يعملون؟ يقولوا حتى لا يتنكر أحد أوحتى لا ينسى أحد أن الله يراقب كل شيء، وأن البلاء أحيانًا ينزل بأهل الطاعة، يعني تخيل سيدنا يوسف ده حيكون نبي بعد ذلك ده حينزل عليه وحي بعد ذلك، هذا الغلام يُجَهز لأن يكون بعد ذلك ملك مصر، كيف يحدث ذلك؟ يعني لونظرت إلى نهاية قصة يوسف –عليه السلام– ونظرت إلى بداية هذه القصة لظننت أن هذا الغلام ما يراه يقينًا في يومٍ ما إلى مكان فيه خمارة أومكان فيه زناة أومكان في السوق يباع ويشترى، لم تكن لتتخيل قط يومًا أن هذا سيكون نبي أوهذا سيكون ملك من الملوك.

رحمة الله بنبيه محمد–صلّى الله عليه وسلم –

قال الله –سبحانه وتعالى–:"وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ"يوسف:١٩ في هذا أيضًا تسلية للنبي –صلّى الله عليه وسلم– إحنا قلنا إن سورة يوسف نزلت على النبي–صلّى الله عليه وسلم – فين؟ في مكة في الوقت الذي كان فيه النبي–صلّى

الله عليه وسلم– يؤذى ويستهان به ويُشتم ويسب ويحاصر ويقتل أصحابه ويهاجر أصحابه، وكانوا يضيقون على النبي –صلّى الله عليه وسلم– الخناق جدًا حتى أنه لا يستطيع أن يتكلم مع أحد، في هذا الوقت يتلقى النبي –صلّى الله عليه وسلم– قصة يوسف –عليه السلام– حتى يعلم أن الله –سبحانه وتعالى– يقدر على كل شيء وحتى يعلم أن الله –سبحانه وتعالى– يدير الأمر، حتى لا ييأس يومًا من رحمة الله مهما أظلمت الدنيا، مهما رأى أنه لا مناص ولا فرار من هذه الحرب مع مكة، وأنهم يقدرون عليه وأنهم يحاولون تعذيب أصحابه ويأسرون أصحابه ويقتلوهم، ويخرجوهم من ديارهم كما حدث في هجرة الحبشة ليعلم أن الله–سبحانه وتعالى– يراقب كل شيء، وحتى يؤمن النبي –صلّى الله عليه وسلم– في رحمة الله سبحانه وتعالى.

تجهيز الله سبحانه وتعالى ليوسف

قال الله سبحانه وتعالى :" وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ"يوسف: ٢٠ القافلة اشترت يوسف –عليه السلام– من مين؟ من الوارد أوبيع يوسف –عليه السلام– باعته سواء الوارد أوباعته القافلة بدراهم معدودة، يوسف–عليه السلام– فقد أباه وأمه في هذا البلاء، ثم بلاء آخر أنه يفقد مكانته إن هوما عادش يوسف ابن النبي وحفيد النبي ما عادش المعزز في بني إسرائيل إلي كان بيجي يقوله إيه ده أبوه يعقوب وجده إسحاق وأبوجده إبراهيم، ما عادش صاحب المكانة والمنزلة التي كان سيعيشها لوكان طفلًا، وهكذا تجهيز الله سبحانه وتعالى لعباده الصالحين فلا يظن أحد إذا ابتلي أن الله –سبحانه وتعالى– يكرهه فالإنسان إذا ابتلي بشيءٍ فإنما عليه أن ينظر في مقدار قربه وبعده عن الله لا في مقدار قربه وبعده عن الناس، ولا في مقدار مكانته ومنصبه وسط الناس، ولا في مكان ماله وفقره وسط الناس، وإنما عليه أن ينظر إلى حاله مع الله.

يوسف–عليه السلام– بيع بدراهم معدودة مش بس كده؛ قال الله –سبحانه وتعالى–:"وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ"يوسف: ٢٠، ياه؛ نبي يُباع عبد رقيق وحتى الثمن يعني فيه رقيق يبقى إيه يبقى ثمنه غالي؛ حتى ده اتباع بإيه بثمن معدود يعني حاجة تتعد على اليدين "وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ"يوسف: ٢٠ يعني يشتريه ما يشتريه بضاعة؛ طلعوه بضاعة، يوسف –عليه السلام– الكريم يباع بضاعة وبثمنٍ بخس، والذي يشتريه أوالذي يبيعه يكون فيه من الزاهدين يعني يقوله بـ ٥٠ يقوله طب خليها بـ ٣٠ يقوله خلاص ماشي بـ ٣٠، كده بسهولة، والله سبحانه وتعالى عليم بما يعملون.

قال الله سبحانه وتعالى: "وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ" يوسف: ٢١ اشتراه رجلٌ من مصر قيل أنه عزيز مصر يعني إيه؟ الوزير. وكان عندهم نظام سياسي إن الوزير هوإيه؟ هوالرئيس. فيه دول الآن لها رئيس الوزراء هوأقوى من رئيس الجمهورية. هذا العزيز كان الرجل صاحب المالية، أوكبير البلد. بيع يوسف –عليه السلام– ليكون في القصر وهذا بلاءٌ جديد، وتجهيزٌ آخر ليوسف–عليه السلام–. انتقل يوسف–عليه السلام– في مراحل امتحان حتى يرتقي ليكون نبي بين يدي الله –سبحانه وتعالى– وحتى يكون مبلغًا عن الله غير أنه كان لابد له من تجهيز؛ تجهيز نفسي إن هومكانته تبقى عند نفسه هينة سهلة. قال النبي –صلّى الله عليه وسلم–:"لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ

مِنْ كِبْرٍ" صحيح مسلم. الإنسان المتكبر مش حيدخل الجنة وكذلك لا يكون نبي، فأراد الله ليوسف–عليه السلام– أن يعيش بسيطًا حياة بسيطة سهلة، حتى تنكسر نفسه حتى لا تكبر نفسه حتى لا يستكبر على أحد إن هويعيش حياة بهذه المهانة في دنيا الناس.

خطوات التمكين

قال الله –سبحانه وتعالى–:"وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ * وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ " يوسف٢٠: ٢١ أي أكرميه وأطعميه وأسقيه وكوني معه من الكرماء في العشرة "عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَونَتَّخِذَهُ وَلَدًا" يوسف: ٢١ قال الله –سبحانه وتعالى–:"وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" يوسف: ٢١ ربنا بيقول في هذه الآية: "وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ" يوسف: ٢١ هوفين التمكين ده؟ يعني هوهنا سيدنا يوسف ممكن ولا سيدنا يوسف هوكده عبدٌ بيع بثمنٍ بخس؟ لماذا قال الله –سبحانه وتعالى– وقص الله –سبحانه وتعالى– على النبي –صلّى الله عليه وسلم– قصة تمكين يوسف–عليه السلام– وكيف أن الله سبحانه وتعالى يدبر له وليوسف وكيف أن الله –سبحانه وتعالى– يجهز يوسف –عليه السلام– بأن يكون صاحب مكانة كبيرة في قومه، وأن يكون ممكننا في الأرض، أن هذه خطوات التمكين، خطوات التمكين أن يعيش على مراد الله، وأن يصبر على بلاء الله وأن يرضى بقضاء الله، أن يجتهد في طاعة الله، الله –سبحانه وتعالى– يمكن له بطاعته، يوسف–عليه السلام– رضي بقضاء الله. لك أن تتخيل شعور طفل بيتاخذ من البير، وبعد كده بعد ما كان عزيز في قومه يقف في السوق يبيعوا ويشتروا فيه، ده يقوله بـ ٣٠ ده يقوله بـ ٥٠ ده يقوله بـ ٧٠ ده يقوله لا بـ٢٠ ويباع ويشترى كأنه بضاعة، ثم لك أن تتخيل شعور طفل وهوبينتقل من الشام إلى مصر إلى أرضٍ بعيدة لم يراها من قبل بعيدًا عن والديه وهوسليل الأكابر يوسف –عليه السلام–.

العاقبة لله –سبحانه وتعالى–

قال الله سبحانه وتعالى:"وَكَذَٰلِكَ–أي وبهذه الطريقة– مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ"يوسف: ٢١ وكذلك يا محمد وأنت محاصرٌ في شعب بني طالب فإنك ستُمكن في الأرض، لم يكن النبي–صلّى الله عليه وسلم– يعلم أنه ستكون له دولةٌ بعد ذلك، غير أنه قص عليه قصص الأنبياء لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب، حتى يعلم النبي–صلّى الله عليه وسلم– وحتى نعلم بعده أن الله سبحانه وتعالى غالبٌ على أمره وأن الأمر إليه سبحانه وتعالى وأن العاقبة لله سبحانه وتعالى.

كيف علم يعقوب عليه السلام بكذب أولاده؟

يوسف –عليه السلام– كان واثقًا في ربه، تدرون لماذا؟ قلنا من فترة ليس سر أن يوسف –عليه السلام– رأى رؤيا وأن أبوه يعقوب علم أن هذه الرؤيا ستكون فتحة خير وبشرى ليوسف –عليه السلام– وأنه سيكون صاحب مكانة ومنزلة، وصدّق يوسف عليه السلام أباه يعقوب، وعلم أن هذه الرؤيا ستتحقق ولوبعد حين، وكانت هذه من الدلالات التي علم بها يعقوب من أن إخوة يوسف كاذبون لأنه لم يرى تحقيق الرؤيا بعد. هوعرف منين إن هما كذابين لما قالهم "وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ" يوسف:١٨ عرف منين؟ عرف بشيئين:الحاجة الأولانية: إن هما جاءوا على القميص والقميص إذا ذكر بهذه الطريقة معناه أنه قميص غير ممزق ولا ممزع، يعني قميص سليم وإزاي ذيب إزاي الذئب حيأكل غلام من غير ما يقطع القميص فعلم أنهم كاذبون.

والثانية: أن يعقوب عليه السلام علم أن الرؤيا لم تتحقق بعد، وكان على يقين أن الرؤيا ستتحقق لذلك علم أنهم كاذبون. عشان كده يقولوا بالقضاء أنه لا يأخذ بالإيه؟ بالبكاء إن هما "وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً– إيه؟– يَبْكُونَ"يوسف:١٦ إنما يأخذ بالقرائن والأدلة لأن كل واحد حييجي يعيط يبقى إحنا كده إيه؟ خلاص يبقى الحق له، لا في قرائن وفي أدلة على ارتكاب الجرائم أوالبراءة من الجرائم. قال الله سبحانه وتعالى :"وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" يوسف:٢١، أي أن يوسف عليه السلام علم أن الله –سبحانه وتعالى– سيجري له الشمس والقمر وعاش يوسف عليه السلام راضيًا بقضاء الله لا يسخط على أمر الله فبيع وهوراضٍ عن الله.

ليس كل تأخير شر

والله سبحانه وتعالى قال :" وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ "يوسف:٢١ هنيجي بعد كده نشوف لسيدنا يوسف أول الرؤيا لمين؟ قالوا إيه تأويل الأحاديث يعني تعبير الرؤيا، يعني يعرف لما يشوف رؤيا يعرف أما يشوف رؤيا مدلولات الإيه مدلولات الرؤى وقيل من تأويل الأحاديث أي من كلام ربه، " وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" يوسف:٢١ ودي ناخذ منها فائدة؛ إن إنت أحيانًا تشوف ناس بسطاء أوتشوف ناس فقراء أوبتبتلى بلاء شديد، إما في مالك أوفي زوجتك أوفي أبنائك أوفي دراستك أوهي تبتلى في زوجها أوفي أبنائها أوفي آبائها أوفي ضيق العيش، أحيانًا الإنسان بيبتلى، والإنسان دائمًا بيبص تحت رجليه بيظن أنها نهاية الحياة، فلوعلم ما قدر الله –سبحانه وتعالى– له لسجد شكرًا لله –سبحانه وتعالى– على أنه بهذا البلاء مُكن بشيءٍ آخر، أحيانًا الإنسان بينزل فيه البلاء مثلًا واحد يروح عليه نومة من معاد مهم، وكان يظن أوكان ينتظر من هذا المعاد فلوس؛ رزق فيعتقد إن إيه؟ إن ديه شر فإذا علم الغيب علم أن الله حجب عنه شيئًا أعظم من هذا الإيه؟ من هذا الرزق، ربما كان هذا الرزق سبب في أنه يفسد أويسرق أويبتعد عن ربه، أحيانًا الإنسان يتأخر عن أشياء، وأحيانًا الإنسان يبتلى في أشياء فيكون فيها شر.

يوسف–عليه السلام– علم أن الله سبحانه وتعالى لن يضيعه لذلك قال الله –سبحانه وتعالى– "وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"يوسف:٢١.

العلم والحكمة .. جزاء المحسنين

يعني لوأنك تنظر بمنظور إلى هذه القصة: غلام اتسرق، اتحط في بئر، طلعته قافلة، باعوه، ساكن في مكان بعيد، حاول تكمل القصة كده حاول تطلق العنان لخيالك، ده حيبقى بتاع دنيا؟ طب ده حيبقى بتاع دين؟ حينفع ده يبقى عظيم في الدنيا؟ إللي ده مقدمة قصته؟ طب ده هينفع يبقى بتاع دين اللي دي مقدمة قصته؟ " وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ" "يوسف: ٢١ أي أن الله غالبٌ أي قادرٌ على أن يرد يوسف –عليه السلام– إلى الدين مرةً أخرى، ليتعلم ويأخذ رسالة أبيه يعقوب وإسحاق وإبراهيم. وكذلك الله غالب على أمره أن يوسف عليه السلام سيكون عزيز مصر، غير أنه لابد له من تجهيز وابتلاءات، قال الله تعالى :" وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" يوسف: ٢٢ مين بلغ أشده؟ مين بلغ أشده؟ سيدنا يوسف –عليه السلام– يعني إيه بلغ أشده؟ كبر يعني عاش عبد سنين طويلة من أول ما كان غلام لحد ما بلغ الإيه؟ الأشد، يعني أصبح قوي، العلماء إختلفوا يعني إيه بلغ أشده، قالوا ثلاثين سنة، قالوا ثلاثة وثلاثين سنة، قالوا أربعين سنة إللي هوسن بعث الأنبياء، قالوا خمسة وعشرين سنة، أصبح شابًا قويًا فتيًا لما بلغ الأشد؛ لما استوى في هذه الحياة– الله سبحانه وتعالى– علمه العلم، وعلمه الحكمة. الحكمة غير العلم؛ الحكمة حسن استعمال العلم إللي هوفعل أفضل الأشياء في أفضل العلوم في أفضل الأوقات، على أفضل وجه. إللي هواستخدام الرفق في وقت الرفق، واستخدام الشدة في وقت الشدة، إن عنده حكمة إن عنده عقل.

يوسف عليه السلام بلغ أشده فأتاه الله حكمًا وعلمًا " وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" يوسف: ٢٢ أي إحسان كان في يوسف، كان يوسف عليه السلام باقيًا على العهد الذي رباه عليه أبوه وهومازال طفلًا صغيرًا، فكان يعظم الله وكان يذكر الله وكان يوحد الله –سبحانه وتعالى– وكان يرضى بقضاء الله –سبحانه وتعالى–، يوسف كان من حسن الخلق والعفاف ما الله به يثني عليه " وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ"يوسف:، ٢٢ يقول: " هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ" الرحمن:، ٦٠ لما كان يوسف عليه السلام محسنًا حسن الخلق مع أنه كان بعيدًا عن أهله علمه الله –سبحانه وتعالى–، عشان كده بيقولوا: الجهل عقوبة، يقولوا من عقوبات المعاصي؛ الجهل. إن الإنسان إذا أراد الله به خيرًا يفقهه في الدين. من أراد الله –سبحانه وتعالى– أن يسلكه طريق الجنة فإنه يعلمه. يقال إن الإنسان من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة. قال النبي –صلّى الله عليه وسلم– :"وإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ، وإنَّ الأنبياءَ لم يُورِّثُوا دينارًا ولا درهمًا، ورَّثُوا العِلمَ فمن أخذَه أخذ بحظٍّ وافرٍ" صحيح ابن ماجه.

وفي ذلك فضل العلم إن وريث النبي؛ إللي حامل تركة النبي؛ أهل العلم. لذلك جازى الله يوسف –عليه السلام– على إحسانه علمًا قال:"وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" يوسف: ٢٢، أي أنه لما أحسن أعطاه الله حُكمًا وعلمًا.

وبالمخالفة من كان أرعن أوأحمق، فإنه يحتاج إلى أن يكون من المحسنين. من عقوبات المعاصي؛ ضيق الصدر وقلة العلم والحرمان من البركة، وضياع الوقت. يقولوا علامة المقت إضاعة الوقت يعني علامة المقت إن الله يمقت واحد إضاعة

الوقت، وقلة الصبر على الطاعة، وسهولة المعصية؛ المعصية سهلة وحرمان الصحبة الصالحة، وسهولة الصحبة السيئة إن المعصية تبقى ميسرة والطاعة تبقى إيه؟ شديدة وصعبة وأليمة على النفس .

إنما العلم العمل

يوسف عليه السلام لما كان من المحسنين آتاه الله حكمًا وعلمًا فإذا أردنا أن نتعلم عن الله،

قاله: شكوت إلى وكيع سوء حفظي فدلني إلى ترك المعاصي وأخبرني أن العلم نورُ ونور الله لا ينزل لعاصي

قال له أنا كنت زمان بحفظ كتير، دلوقتي حاسس إن أنا حفظي تغير، أعمل إيه؟ قاله: حفظك تغير بسبب المعاصي، طبعًا فيه ناس عندها قوة حفظ فيه ناس عندها قلة حفظ، وليس العلم بكثرة الحفظ، العلم ليس فقط بكثرة المعلومات، إنما العلم؛ الخشية. إنما العلم؛ العمل، إن العلم في اللغة غير العلم في الشرع، العلم في اللغة معناه كثرة المعلومات يعني الواحد عنده معلومات كثيرة يسمى عالم، لكن العلم في الشرع معناه إن الواحد عنده معلومات يعمل بها. الله –سبحانه وتعالى– ضرب أسوء مثلين في كتابه الكريم على علماء بني إسرائيل : "مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا" الجمعة:٥. إن ربنا سمى اللي عنده معلومات كثيرة لا يعمل بها كمثل الإيه؟ الحمار يحمل أسفارا وكذلك الذي عنده معلومات ثم انسلخ منها واشترى بها ثمنًا قليلًا. قال الله –سبحانه وتعالى–:" وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوشِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوتَتْرُكْهُ يَلْهَث" الأعراف١٧٥:١٧٦. فأسوء مثلين في القرآن ضربوا لعلماء بني إسرائيل إن هما كانوا علماء لغةً، الله سبحانه وتعالى لما عاتب على هؤلاء قال :"يعلمون ظاهرا"على هؤلاء علماء السوء الذين يتعلمون في الدنيا ولا يتعلمون في الآخرة قال :"يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ" الروم:٧ إنه يعلم ظاهر الحياة الدنيا ولكن الآخرة ما يعرفش عنها حاجة خالص، عالم بقى أي حاجة في الدنيا لكن علم الآخرة هولا يعلم عنه شيئًا.

لماذا قص الله علينا قصة يوسف كاملة في القرآن

قال الله –سبحانه وتعالى– :"وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" يوسف:٢٢ وانتقل المشهد شابٌ قويٌ فتي عنده عقل وعلم عن الله، محسن، حسن الخلق إلى بلاءٍ آخر بلاء الشباب، عارفين أفضل الناس على الإطلاق الأنبياء، ومن صفوة الأنبياء الرسل، ومن صفوة الرسل أولي العزم من الرسل، أولي العزم من الرسل خمسة، مفيش حد من أولي العزم من الرسل ذكرت قصته كاملة بهذه الطريقة مثل ما ذكرت قصة يوسف، وتتعجب لماذا ذكر الله قصة يوسف كاملة، يعني إيه إللي سيدنا يوسف عمله جديد عن الأنبياء مع أنه هناك آلاف الأنبياء لم يذكرهم الله –سبحانه وتعالى– علينا في كتابه الكريم؟ ومع أن يوسف عليه السلام لم يُذكر أنه صاحب رسالة جديدة، ومع أن يوسف عليه السلام لم يُذكر أنه من أولي العزم من الرسل، فلماذا يُقص علينا قصة نبي كاملة بهذه الطريقة ليتعلم منها

النبي–صلّى الله عليه وسلم–؟ إيه إلي سيدنا يوسف عمله؟ حتجد إن يوسف –عليه السلام– في كل مرحلة من مراحل حياته ابتلي بلاءً شديدًا وكان فيه من المحسنين.

حماية الله –سبحانه وتعالى– ليوسف عليه السلام

قال الله سبحانه وتعالى: "وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ" يوسف:٢٣. يوسف –عليه السلام– لما شبّ قويًا فتيًا إذا بامرأة العزيز التي هوفتاها؛ تُعجب به. وانتقل هذا الإعجاب إلى أنها همت بالمعصية أي بالفاحشة، ثم أرادت أن تغلب إرادتها إرادته، فراودته؛ هوفي بيتها وهوشاب غريب ونشأ عندهم؛ يُكره على البغاء، العلماء اختلفوا يقولوا ينفع واحد هوفيه إكراه في الفاحشة، هوفيه إكراه على الزنا يقولوا إذا أُجبر الرجل على الزنا هل له أن يزني أم لا؟ بعض العلماء قالوا مفيش أصلًا إكراه في الفاحشة إنه إزاي يكره على الزنا، وبعض العلماء قالوا لا؛ فيه إكراه على الزنا إن واحد حيضرب أوحيؤذى أوإن هوحتقطع أعضاؤه، يقولوا طب هل السجن إكراه؟ يقولوا لا السجن مش إكراه، في بعض الأشياء هوإكراه لكن في الزنا ليس إكراه، يوسف –عليه السلام– بعدما خرج من أبيه وأمه، ثم سُلب مكانته وبيع عبدًا رقيقًا، أرادوا أن يخرج من إنسانيته أن يغدر يوسف عليه السلام ويخون ذلك الرجل الذي ربّاه، وأن يخون ربه الذي نشأ على طاعته وتعظيم أمره. امرأة تراود شابًا، دلوقتي لما في بنت بتكلم ولد أوتلاحقه أوتحبه فإذا به إيه؟ يقولك أصل أنا بحبها طب إنت تعرفها لا، لمجرد بس أن هوشعر أنها إيه؟ أنها مهتمة به.

المرأة مع يوسف عليه السلام في بيتها ويراها كل يوم وهي تراه كل يوم وهوطوع أمرها، يعني متعود على إجابة أمرها، ثم هي تراوده عن نفسه. قال الله عز وجل :"وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ" يوسف:٢٣ أي أحكمت الأبواب بيقولوا الزيادة في المبنى تشديد الزيادة في المعنى، مش غَلَقَتِ الأبواب غَلَّقَتِ. يعني إيه؟ تربسته، يعني أحكمت إغلاقها ثم "وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ" يوسف:٢٣ تزينت وقالت أنا مهيئة لك. لوأنك مكان يوسف، هل تجيب الداعي؟ هوشاب عنده شهوة وهوبشر خلق الله فيه ميلٌ للنساء، لم يتزوج أعزب، عبد عند المرأة، غريبٌ عن وطنه، لها عليه يدٌ ونعمة، يعيش في بيتها يراها كل يوم وتراه كل يوم، ومع ذلك أنظروا إلى هذا الحكيم العليم يوسف عليه السلام، يوسف عليه السلام ردَّ رد يدل على أنه حكيم ليس فقط علمًا إنما " آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا" يوسف:،٢١.

يوسف عليه السلام قال ثلاث جمل تعرف منها كيف أنه مُرَبى وكيف أنه صاحب عقلٍ وصاحب إيمان قال :"قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ" يوسف:٢٣ ثلاث جمل :رقم واحد حق الله "مَعَاذَ اللَّهِ" ما قدرش استعان بربه، لجأ إلى ربه، رجلٌ تلاحقه امرأة هولا يقدر على نفسه هويفهم أنه ضعيف أمام النساء شأنه شأن البشر، الله –سبحانه وتعالى– خلق في الرجال حبٌ للنساء، وخلق في النساء حبٌ للرجال قال النبي –صلّى الله عليه وسلم– :"حبِّب إليَّ من دنياكم النساء" صححه بن حجر، وقال :"ما تركت بعدي فتنةً، هي أضرّ، على الرجالِ، من النساءِ" صحيح مسلم، " إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ، وإِنَّ فتنةَ أمتي المالُ" صححه الألباني، يوسف عليه السلام يعلم أنه بشر لذلك في داخله داع لأنه بشري، غير أنه تقي، يمنع هذا الداعي بتقواه وورعه وإيمانه وعفته. فقال أعوذ بالله فلجأ أولًا إلى الله

فهذا حق الله. ثم قال:" إِنَّهُ رَبِّي" يعني أنه سيدي يعني أنتِ زوجة سيدي الذي " أَحْسَنَ مَثْوَايَ" يعني الذي هوإيه؟ رباني وصاحب فضلٍ عليَ " إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ" يوسف:٢٣. كيف لي أن أخون سيدي؟

أعظم الذنوب عند الله –سبحانه وتعالى–

يقولوا ولماذا ذكر يوسف عليه السلام سيده أمام المرأة؟ إذا كان ذكر الله ابتداءً؟ قالوا لأن المرأة ربما لا تتعظ لواعظ الله ولوكانت تتعظ لواعظ الله لما فعلت ما فعلت. غير أن واعظ المجتمع عندها أشد. ونقطة ثانية لوإن سيدنا يوسف لم يقل لها ذلك؛ المرأة ممكن تطلق من زوجها وإيه؟ وتقوله يعني هوكان ممكن يقولها إيه؟ ده زنا تقوله خلاص بلاش زنا خالص أنا إيه حطلق واتجوزني، غير أنه ذكر لها عائق آخر لم يذكرها أنه زنا ولم يستفيض معها في الموعظة، إنما هولجأ إلى ربه ثم لفت نظرها إلى أنها زوجة سيده، وأن لها زوجًا وأنها محصنة، يقولوا أن الرجل إذا زنا بامرأة أجنبية من له الحق؟ يقولوا هناك أن هذا الرجل تعدى على حقين حق الله وحق الزوج، حق الله وحق الزوج، يقولوا طب إذا رضي الزوج عن الزنا؟ لوواحد موافق إن مراته تفعل الفاحشة، يقولوا بقي أنه مذنبًا لأنه أخطأ في حق الله، فهذا من الحقوق التي ليس له أن يتصرف فيها، لذلك قال النبي –صلّى الله عليه وسلم– :"لكل غادرٍ لواءٌ يومُ القيامةِ" صحيح مسلم النبي–صلّى الله عليه وسلم– تكلم عن الكبائر فقال الشرك بالله وعقوق الوالدين و"قال: أن تُزانيَ حليلةَ جارك" صحيح البخاري. يقولوا يزاني حليلة جارك يعني واحد زنى بجارته، جارته دي متزوجة يقولوا ليه؟ يقولك لأن الجار المفروض أنه يدافع عن العرض ليس دوره هوأن ينتهك العرض، بل هوعليه أن يدفع عن عرض جارته، يعني لولقى واحد بيضايق جارة له أن إيه؟ أن يهب وأن يدافع عنها فكيف هوأن يزاني حليلة جاره؟ فهذا أعظم في التغليظ.

نظر سيدنا يوسف عليه السلام في عواقب الأمور

يوسف عليه السلام عاش تجربة يعيشها كثيرٌ من الشباب اليوم ونعيشها جميعًا في هذا المجتمع، الذي كثرت فيه الفتن عصر الشهوات، كثرت الشهوات ودخول الشهوات من كل باب، على الشباب وعلى الرجال وعلى الأطفال وعلى النساء. يوسف عليه السلام لجأ إلى ربه ثم ذكرها بأنه له رب أي أن الرجل زوجها صاحب فضل وليس له أن يخونه، ثم ذكرها يوسف عليه السلام أوذكر يوسف عليه السلام عاقبة الأمور دي حكمة يا جماعة عظيمة أوي إن سيدنا يوسف ينظر في عواقب الأمور قالها:" إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ"يوسف:٢٣. أحيانًا إنت بتعمل حاجة الناس شيفاها غلط زي مثلًا واحد يتبرع بمال وهوربما يحتاج إليه يقوله طب خليه معاك حوشه أحسن، ويجد مثلًا فقير فيديله الفلوس فالناس تقوله إيه يا عم إنت بتدي له الفلوس ليه؟ خلي الفلوس معاك أولادك هيحتاجوها بعدين هذا ينظر في العواقب، عمر بن عبد العزيز لما ترك أولاده دون مال فلما سُئل في ذلك فقال: هما إما صالحون وإما فاسدون، لوكانوا صالحين الله يتولى الصالحين يقول لهم أنا تركت لهم الله؛ تركت لهم أنهم يحفظون كتاب الله؛ تركت لهم أنهم يتعلمون سنة النبي –صلّى الله عليه وسلم– تركت لهم أنهم أهل التقوى وبها تجلب الأموال. فالله –سبحانه وتعالى– قال:" وَلَوْأَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ "الأعراف:٩٦

الشاهد أن أبا بكر لما ضحى بماله كله سئل في ذلك قالوا قال النبي –صلّى الله عليه وسلم–"يا أبا بكر ماذا تركت لهم قال: تركت لهم الله وكفى بالله". إن أحيانًا أنت لا تنظر إلى العواقب.

نحتاج الإخلاص في كل أعمالنا

يوسف عليه السلام يعلم أنه ربما يزاني هذه المرأة ربما يجامعها ربما يقدر على فعل ذلك، ربما يعذر عند الناس بأنها سيدته وأنها غلقت الأبواب وأنها كانت مرة ويكون من بعدها رجلًا صالحًا، غير أنه يعلم أن هذا ظلم، وأن الله – سبحانه وتعالى– لا ينسى شيئًا، وأن الله –سبحانه وتعالى– لا يغفل عن شيء. لذلك قال :" إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ"يوسف:٢٣. أنا مش حينفع أعمل ده لأن حشوفه حشوفه؛ حشوف عاقبته حشوف عاقبته.فأنظروا كيف رتب يوسف عليه السلام حق الله ثم حق الناس، ثم النظر في عواقب الأمور؛ كل هذا في لحظات، قال الله –سبحانه وتعالى–:"وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ" يوسف:٢٤ الشيطان لما جرت بينه وبين آدم عليه السلام المشادة ولما رفض إبليس أن يسجد لآدم عليه السلام؛ توعد الشيطان أن يهلك بني آدم وأن يوسوس لبني آدم، وأن يجلب بخيله ورجله حتى يركب بني آدم قال:"لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ" الإسراء:٦٢. غير أن الله –سبحانه وتعالى– ذكر للشيطان أنه ليس له سلطان على أهل الإخلاص، وكان يوسف عليه السلام من أهل الإخلاص، ولوتحدثنا عن إخلاص لما استطعنا أن نتحدث أوأن ننتهي، فهوالدين، أصل الدين. وتحتاجه في كل عملٍ من أعمال الدين، ولا يصح للإنسان عملٌ بدونه أن يكون العمل يبتغى به وجه الله، أن يكون العمل لله شرط قبول أي عمل صالح أن يكون مخلَصًا لله، ثم أن يكون على سنة النبي –صلّى الله عليه وسلم–.

شروط قبول العمل

بيقولوا أي عمل صالح علشان يقبل لابد له من شرطين، رقم واحد الإخلاص، رقم اثنين المتابعة يعني إيه متابعة؟ أن يكون على هدي النبي–صلّى الله عليه وسلم–. فإذا فقد الإخلاص فقد العمل وإذا فقدت المتابعة فقد، يعني الواحد حيصلي عشان الصلاة دي تقبل يجازى بها درجات قد إيه؟ كيف شاء الله لكن بدايةً عشان العمل يرفع محتاج إلى حاجتين رقم واحد إنه يكون بيصلي لله، رقم اثنين إنه يكون يصلي على هدي رسول الله. ما ينفعش واحد يصلي كده من دماغه بقولك والله تعالى نصلي الظهر أوالمغرب بدل ما المغرب ثلاث ركعات نخليه ركعتين أصل إحنا مستعجلين، أونخليها أربع ركعات أوزيادة لأ، لازم يصلي على هدي النبي–صلّى الله عليه وسلم–،–الله سبحانه وتعالى– قال عن يوسف وقصة همت به وهم بها دي فيها يعني مجلدات ألفت " وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ" يوسف:٢٤ أي أن المرأة عزمت أمرها على أن يتحول ما في نفسها إلى واقع "وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ" يوسف:٢٣ "وَرَاوَدَتْهُ" يوسف:٢٣ أي بدأت بمغالبته على نفسه.

ذكر الله يوسف عليه السلام لنبينا في معرض المدح

قال الله –سبحانه وتعالى–:"وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ" يوسف: ٢٤ يقولوا يعني إيه هم بها؟ بدايةً يوسف عليه السلام ذُكر في معرض المدح، بدايةً يوسف –عليه السلام– لم يذنب لأنه لوأذنب لذكر الله –سبحانه وتعالى– توبته كما ذكر توبة داوود –عليه السلام–، هذه القصة ذكرها الله للنبي–صلّى الله عليه وسلم– في معرض المدح والثناء على يوسف عليه السلام، وكيف أن الله نجاه وكيف أنه لما تعرض للبلاء كان من المحسنين ثم كان من المخلصين طبعًا قصص بني إسرائيل، بنوا إسرائيل سبوا الأنبياء جميعًا فليس بغريبٍ عليهم أن يسبوا يوسف عليه السلام أوأن يتهموا يوسف عليه السلام بأنه هم بها أي عزم على مراودتها قال النبي –صلّى الله عليه وسلم: " مَن همَّ بحسَنةٍ فلم يعمَلْها، كُتِبَت لَهُ حسَنةً . ومَن همَّ بحسَنةٍ فعمِلَها، كُتِبَت لَهُ عَشرًا إلى سَبعِمائةِ ضِعفٍ، ومَن همَّ بسيِّئةٍ فلم يَعمَلْها، لم تُكْتب . وإن عمِلَها كُتِبَت" صحيح مسلم.

كيف هم يوسف بإمرأة العزيز وما تفسير ذلك؟

العلماء إختلفوا وهمت به " وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ"، بيقولوا إيه، بيقولوا إن هنا فيه تقديم وتأخير، كما قال الله عز وجل " إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا" القصص: ١٠ . يعني لولا أن الله ربط على قلب أم موسى لأبدت خوفها على موسى، الله أراه من الآيات وعصمه الله –سبحانه وتعالى– بالإيمان لهمَّ بها ده تفسير، القول الثاني أنه الهم هنا هوخاطر في القلب وحديثٌ في النفس بأنه بشري، غير أن وازع التقوى والورع في قلب يوسف منع هذا الهم، إن الطبيعي إن الرجل تريده إمرأة أنه يفكر في هذا الأمر، بطبيعته البشرية، غير أنه شابٌ تقيٌ قوي، أتاه الله حكمًا وعلما، فرُفع هذا الهم بهذه التقوي، فجزاه الله خيرًا على هذه التقوى وهذا الورع، ولم يلتفت إلي قول من قال من الإسرائيليات –وقد نكر ذلك كثيرٌ من أهل التفسير ومن أهل السنة– على أنه هم أي عزم يوسف أيضًا لولا أن الله عصمه من ذلك، بيقولوا أن هذا أصلًا مستغربًا في حق أهل الإيمان من البشر العاديين، فكيف برجل ابن نبي وحفيد نبي ويوحى إليه، وذكره الله في معرض المدح والثناء.

إذا أردت أن يؤتيك الله الحكمة فكن من المحسنين

"كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ" يوسف: ٢٤، ناخد من دي عنوان، من الذي يُصرف عنه السوء والفحشاء، الأول مين اللي بيُعلَّم يا جماعة، مين اللي بيؤتَى الحكمة؟ المحسنين. "آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" القصص: ١٤، يبقى لما تُحسن في عملك ربنا هيديك إيه علم وحكمة، يبقى اللي عايز العلم والحكمة يعمل إيه يُحسن، يُتقن، يُتم أعماله. طيب هنا الذي يجب أن يُصرف عنه السوء والفحشاء يعمل إيه؟ يخلص لله، يحلي نيته يعيش مهتمًا بقلبه، ومهتمًا بتنقية قلبه من كل سوء، حتى يكون من المخلَصين. في فرق بين المخلِصين، وفيه فرق بين المخلَصين، إيه المخلِص وإيه المخلَص؟ يعني إيه مخلِص؟ أخلص أعماله. يعني إيه مخلَص؟ هواستُخلِص لله. لماذا استخلص؟ لأنه أخلص كل ما في قلبه لله، فأصبح لله وبالله ومع الله، هويعيش لله، بيقولوا لما

تصاب بمصيبة تقول إيه قول إنا لله وإنا إليه راجعون، يعني إيه إنا لله؟ يعني نحن خلقنا الله ونصير إلى الله، ونسعى في رضى الله، فنرضى بقضاء الله، وإنا إليه راجعون، أي أن الله –سبحانه وتعالى– إذا ابتلانا بهلاك فلان أوموت علان ممن نحبهم فإننا أيضًا سنرجع إلى الله. إذا تذكرت هذا المعنى؛ أنك خُلقت بالله، وأننا لله وأننا سنرجع إلى الله هانت عليك أي المصيبة، هذا رجع إلى ربه كما أنني سأرجع أيضًا، وهذا ملكٌ لله يأخذه في الوقت الذي يشاء، وأنا أيضًا ملكٌ لله، إنا لله وإنا إليه راجعون.

نجى الله –سبحانه وتعالى– يوسف عليه السلام من البلاء

قال الله –سبحانه وتعالى–" إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ * وَاسْتَبَقَا الْبَابَ" يوسف ٢٤:٢٥ شوفوا واستبقا الباب قبل ما ربنا يقص علينا قصة يوسف عليه السلام مع إمرأة العزيز في هذا المشهد، قال الله –سبحانه وتعالى– "لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ"، فنزل الصرف صرف السوء والفحشاء، ونزلت نجاة يوسف عليه السلام قبل أن يوضع يوسف عليه السلام في البلاء، لأن الله –سبحانه وتعالى– رحيمٌ حليمٌ كريم، فجاء الإذن ابتداءً قبل أن يقع يوسف عليه السلام في البلاء بنجاة يوسف من هذا البلاء.

عصمة الأنبياء عليهم السلام

الحمد لله وصلاة وسلامًا على عباده الذين اصطفى، أما بعد. بعض أهل التفسير دخلوا في باب عصمة الأنبياء، وهل الأنبياء معصومون أم لا، وخاصةً أن الله –سبحانه وتعالى– قص علينا في كتابه بعض العتابات على بعض الأنبياء، وجماهير أهل العلم بل نُقل في ذلك إجماعات كثيرة على أن الأنبياء معصومون من جميع خبرةٍ، غير أن هناك اختيارات للأنبياء تكون أحيانًا خلاف الأولى ينزل بها جبريل عليه السلام ليعلمهم مراد الله –سبحانه وتعالى– وكيف أن الله –سبحانه وتعالى– يحب ذلك أكثر من ذلك. وفي ذلك خلاف هل الأنبياء معصومون من الصغائر أم لا؛ اللمم، التي هي حاجة نفس البشرية الدائمة، والتي هي أفعال الإنسان كإنسان، كبني آدم بشري له نزعات وشهوات عليه أن يزكيها وينقيها حتى تصلح لتكون محل رضا الله –سبحانه وتعالى–. ذكر الله –سبحانه وتعالى– أن يوسف عليه السلام صرف الله عنه السوء والفحشاء، أي صرف الله عنه كلام الفُحش، وصرف الله عنه الزنا، لأنه من المحسنين.

الفرق بين الفرار من الذنب والفرار إلي الذنب

ثم ذكر الله –سبحانه وتعالى– لنا مشهد عجيب، مشهد رجلٌ يجري وتجري وراءه إمرأة، من هذا؟ إنه يوسف. سباق معناه إن كان فيه مساحة كبيرة، استبقا، يعني هي بتسابقوا وهو بيجري، واستبقا الباب. أي: هو يجري نحو الباب مسرعًا يخاف من هذه المرأة، يفر من الفتن. أحيانًا كتير شاب يعلم أنه مجروح في قلبه، بيحب بنت، ثم لا يقدر أن يتزوجها في الحلال، فإذا به يصر على أن يجرح قلبه في كل مرة. عليه أن يفر من الفتن أو العكس، فر من هذه المرأة

إذا لم تستطع أن تجتمع بها في الحلال فلا تجتمع معها في الحرام، إتجوز روح إتجوز، أبوها مش مواف،ق أصل أنا لسه صغير، أصل أنا لسه شاب في الجامعة، أعمل إيه؟ ليس لك سلطان على قلبك، فالقلب يتغير، إنما لك سلطان على جوارحك، يوسف عليه السلام راودته المرأة عن نفسه فاستبقا الباب، فساق إلى الباب خرج مسرعًا، فزعًا، هلعًا، يفر بدينه من هذه المرأة والمرأة تلاحقه، أحيانًا كتير دلوقتي لو إن إمرأة تلاحق شاب هو هيستبق؟ هيطلع يجري ناحية الباب ويفر؟ ولا هو اللي بيسعى لذلك.

لا يظن أحد أن يوسف عليه السلام لم يكن صاحب شهوة

يوسف عليه السلام أعذب، عنده شهوة، لا يتخيل أحد أنه ليس صاحب شهوة، بيقولوا من حكم، أو من لطائف هذه الآية " وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ"، بيقولوا حتى لا يظن أحد أنه ليس صاحب شهوة إنما هو فيه ما فيه من البشر، وفيه ما فيه من الشباب، وفيه ما فيه اشتهاء النساء كما يفعل كل رجل أعذب غريب لم يتزوج، فبرز الله – سبحانه وتعالى– كمال رجولته ثم كمال تقواه وعفته، قال الله –سبحانه وتعالى– " وَاسْتَبَقَا الْبَابَ"، والمرأة تحاول حتى أنها أمسكت به وشدته، وقطعت قميصه، قطعت القميص وهو يجري، تخيل شاب بيجري من إمرأة تريد أن تراوده عن نفسه حتى أنها قطعت القميص وهو يجري، ثم فُتح الباب فجأة، فوجدا سيدها أي زوجها، وعبر الله–سبحانه وتعالى– عن الزوج بالسيد لما للرجل من قوامة على المرأة، فالرجال قوامون على النساء، وقال النبي –صلّى الله عليه وسلم–، وقد كان في شرع من قبلنا أن الناس تسجد لبعضها البعض احترمًا، كما سجد في آخر القصة يعقوب وإخوة يوسف ليوسف عليه السلام، غير أن هذا ممنوعٌ في شرعنا فلا ينبغي السجود إلا لله كما أرسل الله الملائكة لآدم عليه السلام، فقال النبي –صلّى الله عليه وسلم– " لوكنتُ آمرًا أحدًا أن يسجدَ لغيرِ اللهِ، لأمرتُ المرأةَ أن تسجدَ لزوجِها، والذي نفسُ محمدٍ بيدِه، لا تؤدِّي المرأةُ حقَّ ربِّها، حتى تؤدِّيَ حقَّ زوجِها كلَّه، حتى لوسألها نفسَها وهي على قَتَبٍ لم تمنَعْه" صححه الألباني. لعظم حقه عليها. فكما أمر الله الرجال أن يقوموا على أمر النساء بالحماية والإنفاق والمال، وأن يطعمها مما يطعم، وأن يكسوها مما اكتسى، وأن يدافع عنه بحياته، كذلك أمر النساء بأن تطيع الرجال، قال " فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ" النساء: ٣٤

بلاء جديد ليوسف عليه السلام

ألفيا سيدها لدى الباب، فُتح الباب فجأة وجدوا الزوج، يوسف راعى حق هذا الزوج الذي أكرم مسواه، والمرأة لم تراعي حق الزوج، غير أنها إمرأة فاسدة، عملت إيه؟ ابتدلت الكلام، هي اللي اتكلمت فجأه، " قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا"، بجد والله؟ وكأن يوسف هو الذي أرادها بالسوء، ولعلها قالت ذلك لما رآه من هيئتها، من أنها تجملت لاستقبال زوج، أو لعلها قالت ذلك لضعف نفسيتها فلم تستطع أن تكذب كذبة أخرى، فلم تستطع أن تداري الموقف، كان ممكن تقول أي حاجة لو أن الموقف مش هيبان، لكنها عرفت أن هو هيعرف. فقالت: " قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَو عَذَابٌ أَلِيمٌ" يوسف: ٢٥، على طول يوسف كان بيراودني عن نفسي،

فوضع يوسف في بلاءٍ جديد، هذا تأهيل الله –سبحانه وتعالى– لأنبيائه، هذا تأهيل الله –سبحانه وتعالى– لأصحاب الدعوة.

الدليل على براءة يوسف عليه السلام

يوسف عليه السلام لم يرد عليها ولم يجعل الحوار بينه وبينها احترامًا لها، واحترامًا لمكانته واحترامًا لهذا الرجل، فقال إنتِ روادتيني عن نفسي؟ لا. قال: " قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي" يوسف:٢٦، ولم يرد يوسف عليه السلام الكلمة بكلمة، وفي هذا أيضًا حكمة، أن النساء معروفة بالاهتمام بالتفاصيل وكثرة القيل والقال، فلم يُدخل يوسف نفسه في هذه المعركة الكلامية، إنما قال: هي روادتني عن نفسي فقط، لم يسكت يوسف على اتهامه بالفاحشة، كذلك لم يخوض في معاني الكلام، وأظهر الله –سبحانه وتعالى– شاهد؛ واحد كده جه قال لهم أنا هحكم بينكم، لا يُعلم هذا الشاهد هل طفل صغير هل غلام كبير، هل شاب، هل قوي، هل خادم آخر، هل مساعد الملك، هل واحد من الحاشية مش عارفين مين الشاهد ده، لكن "وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا"، يعني أقرب أن يحكم لها إذا كان سيظلم، من أهلها، فقال " إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ"، يعني لو إن القميص بتاعه منقطع من قدام، يبقى هو كان قاعد يهجم وهي بتدفعه، " صَدَقَتْ وَهُو مِنَ الْكَاذِبِينَ* وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُو مِنَ الصَّادِقِينَ" يوسف:٢٦:٢٧، لو كان القميص مقطوع من برا يبقى إيه؟ هي بتكذب وهو صادق، الأمر بقى محكمة في البيت، والموضوع أصبح ما ينفعش يتسكت عليه، والخدم عرفوا، وهكذا دائمًا في مجتمعات الأغنياء، إن الأمر ما عادش ينفع يتلم.

قال الله –سبحانه وتعالى– "فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ" يوسف:٢٨، عرف أن المرأة بتكيد عرف إن المرأة بتمكر، عرف أن المرأة هي التي روادت يوسف عن نفسه، طب هو لما عرف عمل حاجه؟ خذوا بالكم إن الراجل ده عظيم مصر، عزيز مصر، الراجل ده كان راجل كبير، صاحب مكانة ومنصب، غير أنه قال: " إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا" يوسف ٢٨:٢٩، يعني خليك يا يوسف كويس إنت كده كويس، " وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ"، ما قلهاش من الخاطئات، إنكِ كنتِ من الخاطئين، قال يوسف أعرض عن هذا، وفي هذا دلالة بيقولوا أن كثيرًا في الطبقات العليا في المجتمعات تقل النخوة، وكذلك في المجتمعات السفلى في المجتمع، وتكثر النخوة في المجتمعات المتوسطة، يعني تكثر الارتباطات العائلية في المجتمعات المتوسطة، المجتمعات اللي فوق أوي واللي تحت أوي تلاقي الدنيا عندهم إيه؟ سهله شويه، أو شويتين ثلاثة، إلا من رحم الله، ده مجاهدات يعني مش قانون مجتمعي، يبقولوا أن المجتمع الفقير يبحث دائمًا عن أكل العيش فتقل فيه الأخلاق، والمجتمع الغني يبحث أكثر عن المناصب فتقل فيه الأخلاق.

هل كانت إمرأة العزيز مؤمنة أم كافرة؟

إمرأة العزيز راودت يوسف عن نفسه، زوج هذه المرأة هو عزيز مصر، شهد ذلك، غير أنه لم يفعل شيء، إنما قال ليوسف: "يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا"، وقال لها " وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ"، بيقولوا هي المرأة كانت أصلًا مسلمة؟ يعني الست دي كانت أصلًا مسلمة ولا كانت كافرة؟ بيقول لها استغفري لذنبك، هو سيدنا يوسف قال: "إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ *وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي" يوسف ٣٧:٣٨، هما أصلًا الناس دي كانوا مسلمين؟ هما كفار أصلًا، أمال ليه قال لها استغفري لذنبك إنكِ كنتِ من الخاطئين، إن الصورة مش هينفع تكمل كده، مش هينفع إن احنا يبقى عندنا واحدة بتراود العبد بتاعها، دي مش مكملة للصورة، ليه ما قالهاش من الخاطئات وقال لها من الخاطئين، كأنه أدخلها في جملة الكلام يعني كلام إيه مباشر، يعني إنتِ كده من الناس الوحشين، مش إنتي وحشة، إنت من الناس اللي بيفعلوا الخطيئة.

المجتمع الذي نشأ فيه يوسف كان مجتمع فاسد

قال الله –سبحانه وتعالى– " وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" يوسف: ٣٠، الموضوع انتشر، وبدأ نساء الأكابر يتكلمون، إزاي فلانة إمرأة فلان طمعانة في العبد بتاعها، طمعانة في العبد؟ إيه اللي بتعمله ده؟ وبدأوا يلوموا هذه المرأة على ما تفعله مع هذا العبد، والأصل في العبيد أنهم ضعفاء وفقراء، وأذلاء، كأنهم يلومونها ليس على طمعها إنما على أنه عبد، فتاها، بتجري على فتاها، وإمرأة العزيز أرادت أن تلقنهم درسًا؛ كيد النساء، فخرج من الجب إلى كيد النساء، واجتمع عليه نساء فسدة. ترى ماذا فعل يوسف أمام هذا الفساد؟ إمرأة تلاحقه، وهي صاحبة سطوة عليه، بل توعدته وقالت إن لم تفعل ما آمرك إما أن تُسجن وإما أن تُعذب، يعني بتكرهه على المعصية، ثم مجموعة من الصاحبات، وهذا يدلك على أن هذا المجتمع مجتمع منحل، إن الموضوع عادي ستات قاعدين بيتكلموا، ما شفتيش إمرأة العزيز عملت إيه؟ وقاعدين يتكلموا الموضوع عادي، هذا في البيت الذي تربى فيه يوسف، وهو يرى ذلك ويسمع ذلك. وهذا أيضًا تسهيلٌ للمعصية، فاحشة مسهلة، ميسرة تلاقي في الجامعة تدخل كده في شلة يقول لك إيه، هو إنت مصاحب مين؟ أو يقول لها هو إنتي مصاحبة مين؟ أصبح عادي، بقى الغريب إن الولد مش مأنتم –مش مصاحب مع واحدة–، أو إن البنت مش مأنتمه مع ولد –مش مصحابه ولد–، والموضوع بيتغير كل سنة، في ناس بتاخدها أول ثلاث سنين مع بعض وبعد كده هه، الشاهد أن المجتمع أصبح ييسر المعصية، يسهل المعصية.

مكر النساء مع يوسف عليه السلام

قال الله –سبحانه وتعالى– " وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ"، طيب نسوة المدينة عرفوا منين؟ ما إحنا قلنا مجتمع الكبار، أو مجتمع الصفوة أو الملأ عندهم خدم وعندهم حشم ينقلون الكلام، والحادثة اللي حصلت والشاهد اللي شهد، مين اللي طلع بقى؟ هل الراجل قال لأصحابه؟ هل الخدم اللي شافوا الموقف قالوها؟ هل الشاهد اللي قال؟ هل هي اللي قالت؟ الله أعلم. لكن الموضوع نسوة في المدينة، أي أصحاب هذه المرأة التي لهم علاقة بها علاقة وثيقة، لأن هما هي جابتهم بعد ذلك فدل على أنهم من أصحابها، " امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ*فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ" يوسف ٣٠: ٣١، إيه المكر اللي هما عملوه؟ هما عملوا إيه مكر هنا؟ أنهم اجتمعوا على يوسف، وجاءت كل واحدة إلى يوسف فقالت: كن لي وأصرفها عنك، هذا قيل، وقيل أنهم أردوا تيسير الأمر لإمرأة العزيز فكانوا يتكلمون في الموضوع بصوت عالي أمام يوسف حتى يعلم أن الأمر ميسر ومعروف. مكر.

إجلال وتعظيم النساء ليوسف عليه السلام

"فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً" يوسف: ٣١، حطت لهم أكل وشرب وجابت لكل واحدة سكينة عشان تقشر الفاكهة، ثم قالت ليوسف: أخرج عليهن، هما كانوا بيلوموها؛ عبد؟! في واحدة تحب عبد؟! "فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ "، أجللنه، استعظمنه، ده عبد؟! مش ممكن. وقال النبي –صلّى الله عليه وسلم– عن يوسف: لقد أوتي شطر الجمال، مين صاحب الجمال؟ الله–سبحانه وتعالى– لما خلق آدم خلقه على هيئته فكان أجمل البشر آدم عليه السلام، لذلك الناس تبعث يوم القيامة على هيئة آدم عليه السلام، ويوسف عليه السلام أوتي شطر جمال آدم، نساء المدينة اللي هما أصحاب الملأ، اللي هما أصحاب زوجة العزيز اجتمعوا في بيت إمرأة العزيز، فلما رأين يوسف عليه السلام، قال الله –سبحانه وتعالى– "فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ" يوسف: ٣١، يعني وهي بتقشر، قعدوا يبصوا من شدة الإجلال، والإكبار لهذا الرجل من عفته، ومن خلقه، ومن قوته، ومن جماله لم يستطعن أن ينزلن بصرهن عنه، حتى أنهن قطعن أيديهن أثناء الطعام.

ضحى يوسف عليه السلام بحياته فرارًا من الفتن

"وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ"، طب هما شافوا الملائكة؟ هما عرفوا منين إن هو ملك، بيقولوا " إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ"، هو سيدنا يوسف ملك ولا بشر؟ طب هما شافوا الملائكة عشان يقولوا أن هذا ملك؟ بيقولوا أن الإنسان في داخله فطرة فيها صورة ذهنية إن الملائكة أجمل من بني آدم، وأن الشياطين فيهم قبح واستنفار؛ حاجة منفرة، يستنفرون، وأشكال الشياطين تنفر. الله –سبحانه وتعالى– لما أراد أن ينفرنا عن شجرة الزقوم قال: " طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ" الصافات: ٦٥، أجللن يوسف وأكبرنه، غير أن البلاء لم ينتهي بعد، قالت إمرأة العزيز " قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ" يوسف: ٣٢، اتجرأت أوي بقى، أيوه أنا راودته

عن نفسه فاستعصم أي احتمى بالله، يبقى يا جماعة حل من تراوده إمرأة عن نفسه إنه يعمل إيه؟ يدفعها مش هيعرف حله إن هو يلجأ إلى الله، معاذ الله، حله إن يذكر عاقبة الأمور، لكن إن هو بنفسه هيقدر مش هيقدر، حله أنه يذكر ويقول يارب، " وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ" يوسف:٣٣، الصبا أوالصبو يعني الميل إليهن، سيدنا يوسف نفسه قال: يارب مش قادر، وضحى يوسف عليه السلام بحياته فرارًا من الفتن، فدخل إلي السجن بعيدًا عن الفتن.

فضل يوسف السجن عن معصية الله

فالحياة في ضيق من العيش بطاعة أفضل من الحياة في رغد العيش في معصية، كان له أن يوافق على أن يرتكب الفاحشة مع هذه المرأة وسيكون مكرهًا، غير أنه فضل طاعة الله–سبحانه وتعالى–. " قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ" يوسف:٣٢، هنا انتقلت الحرب بين عفة يوسف عليه السلام وشهوة هذه المرأة إلي حرب، أن المرأة قررت إن هي تعلن الحرب صراحة على يوسف عليه السلام، يوسف عليه السلام لما علم أنه أمامه أحد خيارين، إما أن يعيش في طاعة الله فارًا بدينه، وإما أن يعيش في معصية الله. قال يعيش في طاعة الله فارًا بدينه حتى لو كان سيعيش في السجن، قال " قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ * فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ" يوسف ٣٣:٣٤، هو فين الدعاء؟ يعني فين الدعاء اللي سيدنا يوسف قاله عشان ربنا يقول فاستجاب له ربه، هو قال إيه؟ " قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ"، فين الدعاء؟ زي ما سيدنا أيوب قال " أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" الأنبياء:٨٣، فيوسف عليه السلام أظهر لربه أنه سيعيش في طاعة الله، وأنه سيرضى بقضاء الله، وأنه على استعداد أن يعيش منفذًا أمر الله حتى لو في ضيق من العيش، أفضل من أن يعيش متلبسًا بآراء الناس وبشهوات الناس في معصية الله –سبحانه وتعالى–، فكان السجن أحب إليه لأنه أحب إلى الله –سبحانه وتعالى–.

الله –سبحانه وتعالى– يحب طاعته وأهل طاعته، ويوسف عليه السلام لم يتنازل عن خلق العفة، مع أنه كان له أن يتنازل أمام هذا الإكراه، وأمام هذا الابتزاز من هذه المرأة، وهو شاب أعذب لم يبعث بعد. غير أن الله –سبحانه وتعالى– ذكر لماذا اصطفى الله –سبحانه وتعالى– يوسف عليه السلام، ولماذا مكن الله –سبحانه وتعالى– ليوسف عليه السلام، ولماذا يجب علينا أن نعتبر من قصة يوسف عليه السلام، فذكرها الله –سبحانه وتعالى– على أنها أحسن القصص، لما في يوسف عليه السلام من الإحسان، والإخلاص، ومبالغة العفة، وتتبع رضا الله –سبحانه وتعالى– حتى لو كان على حساب حياته.

دلوقتي لو إن إنسان اتعرض عليه يقول له الصلاة مش هكلمك في حاجه عظيمة، يعني حاجه بسيطة، بكلمك في أول أركان الإسلام بعد الشهادتين في الصلاة، تقول له الصلاة تتعارض مع أي شئ تاني يقول لك: معلش أصل مش هينفع إن أنا أقفل مثلًا المحال بتاعي عشان خاطر الصلاة، تقوله: طب اقفل صلي وارجع تاني، يقول لك أصل ده باب رزق. تقول له طب الصلاة باب رزق. أو مثلًا طالب في الجامعة وعنده محاضرات، تقول له طب ما تقول للدكتور لو سمحت

يا دكتور خلي المحاضرة بعد الصلاة أو قبل الصلاة، وتعالى نصلي كمان سوا مش هيحصل حاجة يعني، يقول لك أصل المحاضرة، أصل الفلوس، أصل المنصب، أصل فلان هيزعل لو أنا مشيت وهكذا على كل المستويات.

تضحية يوسف بكل حياته ليعيش في طاعة الله

يوسف عليه السلام لم يضيع عليه رزق ربما يأتي وربما لا يأتي، أوعلم ربما يأتي وربما لا يأتي، وإنما سيضيع دنياه حقيقةً، سيضيع حريته، سيضيع طعامه وشرابه في بيت العزيز إلي طعام وشراب السجناء، سيضيع صحبته إن هو يصاحب الأكابر إلي صحبة السجناء والقتلة والزناة والسراق. ومع ذلك لما رأى أن مصحابة هؤلاء وأن ضيق العيش سيكون أفضل في طاعة الله، فر بطاعة الله وفر بدينه حتى يعيش حياة في طاعة الله، أفضل من أن يعيش في معصية الله، وإن كانت الحياة رغدة وإن كان المنصب كبير، وإن كان سيعظم بين الناس، وإن كان سيكون صاحب مال وصاحب مكانة، وصاحب شهوات يقضيها كيف شاء، غير أنه آثر رضا الله –سبحانه وتعالى– آثر أن يكون معتقلًا في سجن لا يعلم متى سيخرج منه في طاعة الله، على أن يكون حرًا في معصية الله –سبحانه وتعالى–.

اختيار الله –سبحانه وتعالى– ليوسف عليه السلام

قال الله –سبحانه وتعالى–"فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُ هُوالسَّمِيعُ الْعَلِيمُ" يوسف: ٣٤، علاقة بين يوسف عليه السلام، وبين ربه، الله –سبحانه وتعالى– يختار ليوسف عليه السلام في كل مرحلة من مراحل عمره، فاختار الله ليوسف أن يعيش بعيدًا عن أبويه، ثم اختار الله ليوسف أن يُباع ويُشترى عبدًا، ثم اختار الله ليوسف أن يدخل السجن بعدما فر بدينه من إمرأة العزيز، وتتوالى البلاءات على يوسف عليه السلام حتى يُجهز ليكون نبيًا ويكون عزيز مصر.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله وتفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36